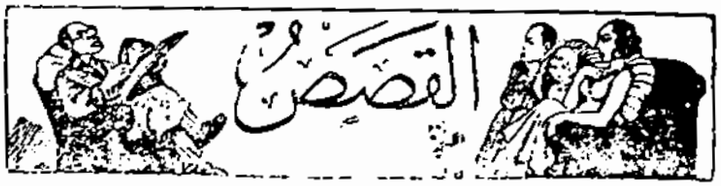

قصة من روائع الأدب الروسي :

الملك والناسك . . !

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

زعموا أن ملكا من ملوك القرون الغابرة الأولى . قيل له أن الفشل والإخفاق لن يملكا إليه سبيلا ، إذا ما أدرك دواماً خير الأحيان للانطلاق في العمل الذي يروق لباله ويعن لخاطره . وإذا ما ألم بأجدر الناس بالإنصات إليهم والإصغاء إلى حديثهم ... ومن هم أولئك الذين ينبغي عليه أن يجانبهم ويرغب عن مجلسهم ! . . وإذا ما تناهى علمه إلى معرفة أحق الأشياء بالعمل وأخلقها بالتحقيق فأمر الملك رجاله بأن يذيعوا في آفاق مملكته ، أن كل من يشير على الملك بخير الأوقات للعمل وأجدر الناس بالإنصات والصحبة وأفضل الأشياء وأحقها بالعناية والرعاية سوف يجازى جزاء حسناً ويحظى بهبة سنية من لدنه ... وأقبل العلماء وأهل الخبرة والتجربة من كل فج على الملك يتنافسون ويتسابقون يجلون له ما غمض عليه ويجيبونه على ما سألهم إياه . بيد أنهم تباينوا في آرائهم وتعارضوا في أقوالهم واختلفوا في مشورتهم . فقال بعضهم — جواباً على السؤال الأول — أن ليس ثمت سبيل إلى معرفة خير الأحيان إلا بتسطير لوحة تسجل عليها الأيام والأشهر والسنون ، ولا يسير المرء في شئون الحياة إلا وفق نظامها . وبهذا ينجلي المرء أي الأوقات خير من الأخرى وقال بعضهم إن ذلك لا يتأتى إلا بالفطنة واليقظة لما مضى ولما يجد من الأمور . فيتعرف على خيرها وأبلغها أهمية فيبتدره في حينه . وقال فريق منهم إنه مهما توخى الملك الدقة والبراعة في معرفة أجل الأوقات ، فان يبلغ مبتغاه . فمن أشق الأمور وأعضلها على الرجل الواحد أن يقرر الخير فيما يتراءى له من الأوقات ... وعليه أن يعقد مجلساً من أصحاب الحكمة في دولته فيلقى منهم عوناً صادقاً على تحديد الوقت اللائق الموفق

واختلفت آراؤهم على السؤال الثاني . فأجابه البعض بأن أجدر الناس بالرفقة والإصغاء هم أهل الشورى والحكمة ، وقال آخرون بأنهم رجال الدين والأطباء ... بينما رجح البعض أن الجند هم أفضل من يستفيد المرء من قربهم ... أما عن السؤال الثالث فرأى جمع منهم أن أحق الأشياء بالرعاية هو العلم ... ومال آخرون إلى أنه الحذق والبراعة في فنون الحرب والقتال . وارتأى بعضهم أنه الفناء في عبادة الله عز وجل وتأدية فروض الدين على أكمل وجه ...

فلما استبان للملك أنهم لم يستقروا على رأي صائب راجح منع عنهم عطيته ... وعقد في نفسه عازماً على أن يتوجه إلى ناسك ذاعت شهرته وطبقت حكمته كل أفق بعيد ... يستلهمه النصيحة ويستوحيه المشورة ... وكان ذلك الناسك يتعبد في جوف غابة لا يبرحها أبداً ... ولا يلقى من الناس إلا الفقراء والمعوزين . فأحاط الملك نفسه بثوب بسيط ، ليس عليه من ظواهر الملك شيئاً ... وترجل عن جواده وخلف حرسه على مبعدة وانطلق وحده ... فلما أدرك الناسك ألفاه يفلح الأرض أمام صومعته ... وحينما أبصره الناسك بادره بالتحية ، وانثنى إلى فأسه يضرب بها أديم الأرض ... فكانت الضربة التي يهوي بها فيقلب الترب تستنفد ما بقي في جسده من قوة ، وتجعله يهر من الأعياء وينهج من التعب ... فقد كان شيخاً ضعيفاً وهنت عظامه ووهت قواه . . !

فدنا الملك منه وأفصح له عما في نفسه قائلا : « أيها الناسك الجليل ... لقد أتيت إليك — عن نأي — أروم جوابك عن أسئلة ثلاثة : « أولها : كيف يتاح لي أن أعلم خير الأوقات لأنجز خير الأعمال ؟ » ، « وثانيهما : أي الناس أولى بالصحبة وأجدر بالاهتمام ؟ » ، « وثالثها : ما هي الأشياء التي تستوجب مني العناية وتستحق التفرغ لها ؟ » . فأصغى الناسك إليه منصتاً ، بيد أنه لم ينبس ببنت شفه جواباً ... وبصق في راحتيه وعاد ينبش الأرض بفأسه وهو يفلحها من جديد ... فارتفع صوت الملك — وقد لمح ما على الناسك من دلائل الضعف وظواهر الوهن : لقد بلغ التعب والإعياء منك مبلغاً ... فناولني الفأس ، أتولى عنك الإفلاح حيناً . ! » فلما هوى الملك بالفأس إلى الأرض مرتين ، رفع رأسه إلى الناسك ، وسأله ثانية جواباً على ما بسطه له وصارحه به ... فلم يتلفظ الناسك بشيء ، بل مد ساعده إلى الملك يبتغي الفأس قائلا « استرح قليلا ، ودعني أوالي العمل برهة ! » ولكن الملك رغب عن أن يعطيه الفأس ، وعاد يحتفر الأرض .

تصرمت ساعات اليوم ومال ميزان النهار وتولى الضياء عن صفحة الكون ... وراحت الشمس تتوخى سبيلها إلى المغيب فى حمرة موردة وراء الأشجار السوامق ... فألقى الملك الفأس من يده وهو يقول : « لقد أتيت إليك أيها الناسك الجليل أبتغى جواباً لأسئلتى الثلاثة ! فإن كنت لا تود أن تجيبنى عليها فخبرنى ... لأنقلب إلى دارى .! » فقال الناسك وهو يمد طرفة إلى الأفق « ثمة من يعدو ! . فدعنا نرى من يكون ! . » فتلفت الملك وراءه ... فألفى طرفه برجل ذى لحية كثة يركض نحوهما ! . . وقد أمسك يديه على بطنه ، والدم يتفجر خلال أنامله . فلما بلغ مكان الملك هوى أمامه على الأرض وهو يئن ويتأوه فى حدة وألم ... وقد تولاه الإغماء ... فراح الملك والناسك ينضوان عنه ثيابه ... فألفيا فى بطنه جرحاً غائراً فى الأمعاء ... أخذ الملك يغسله بالماء .. ويضمده بمنديله ثم برباط أتاه به الناسك من صومعته ... بيد أن الدم لم ينقطع سيله ، فعاد الملك يغير الرباط الملطخ بالدم بآخر اقتطعه من ثيابه ... فلما توقف فيضه عن الجريان والترف عاد إلى الرجل الجريح رشده وصوابه وأفاق من غشيته ... وطلب بعضاً من الماء فوافاه الملك بما سأله إياه ... وكانت الشمس حينئذ قد هوت كالجرة خلف الأفق وغابت عن صفحة السماء ... وشاع البرد فى كل مكان ... فاستعان الملك بالناسك على رفع الرجل وحمله إلى داخل الكوخ حيث استقر فى الفراش وأغمض جفونه وراح يغط فى وسن هادىء وسبات عميق! وارتمى الملك فى ركن من الكوخ وقد أعياه العمل وأضناه العناء والكدح فأغرق هو الآخر فى النوم .

حينما استيقظ الملك فى صبيحة اليوم التالى ، كاد ألا يذكر أين مكانه ، ولا يعرف ذلك الرجل الملتحى الذى يقبع فى فراشه يحدق فيه ويرنو إليه بعينين نفاذتين . . . قال الرجل — وقد أحس أن الملك بدأ يستعيد وعيه ويفيق من نومه وراح ينظر إليه — « أضرع إليك أن تشملنى بعفوك ! » فأجابه الملك فى رنة عجب : « إنى لا أعرف من أنت ... فعلام ترجو عفوى ؟ ! » - « أنت لا تعرفنى بيد أنى أعلم من أنت ! . فأنا ذلك العدو الذى أقسم غير حانث على أن ينزل بك نقمته وعدوانه جزاء ما أعدمت أخاه وانتهبت داره وشردت أهله ... فقد تناهى إلى علمى أنك قاصد إلى الناسك ... فبيت النية وعقدت العزم على أن أنهز هذه البادرة وأقتلك وأنت فى سبيل العودة . . ! ولكن اليوم تقضى ولم أستبن لك أثراً . . ! فبرزت من مكمنى لأنقب عنك . . ! فلمحنى رجالك وتعرفوا على ، وأصابونى بجرح بالغ فى بطنى . . لقد أفلت منهم فتلقتنى براثن الموت ، وكدت أن أسلم الروح لولا أن توليتنى بعنايتك فآسيت جراحى وآويتنى فى هذا الكوخ ... لقد كنت متعمداً قتلك فأنقذت حياتى . . جزيت خير الجزاء . . . والآن لو امتد بى الأجل فسوف أقوم على خدمتك — إن رضيت — عامر القلب بالإخلاص لك كعبد من عبيدك الأوفياء ... وكذلك أبنائى وأهل بيتى فقد قيدت عنق ربهم بمعروف لن ينساه فأسألك أن تعفو عنى وتغفر لى ! » فاستخف الملك الفرح والبشر وطربت نفسه وطاب قلبه بما رأى من السلم والوفاق الذى عقده مع عدوه فى بساطة وهدوء فكسبه صديقاً وفياً . فلم يعفُ عنه فحسب بل أخبره بأنه سوف يبعث إليه بخيرة أطبائه وخدمه ليقوموا على العناية به ووعده بأن يرد عليه ماله المسلوب ويعيد إليه ملكه المغصوب .

غادر الملك صاحبه الجريح وأخذ يتلفت فى ساحة الكوخ باحثاً بعينه عن الناسك ليرجوه من جديد أن يجيبه على أسئلته . فألفاه جاثياً على ركبته يغرس الحب فى النقر التى احتفرها البارحة فدنا منه ودعاه قائلا : « إنى أرجوك لآخر مرة أن تجيبنى على ما سألتك إياه ... أيها الحكيم الجليل » ... فأجابه الناسك وهو ما يزال جاثياً على ساقيه الرقيقتين « لقد أُجِبْت على ما تود ! ! » فتساءل الملك فى دهش وعجب « كيف أجبتُ ! ؟ وما الذى تعنيه » فرفع إليه الناسك رأسه وعلى ثغره ابتسامة ، وقال فى صوت شاع فيه الهدوء والرزانة : « ألم تر أنك . لو لم تترفق بى وترحم ضعفى بالأمس ولم تعنى لى هذه الحفيرات بل انطلقت فى سبيلك لهاجمك ذلك الرجل وبلغ منك مقتلا ... وحينئذ كنت تقعد نادماً تأكل قلبك الحسرة وتتمنى لو أنك مكثت لا تبرحنى . إن خير وقت كان فى ذلك الحين الذى كنت تحتفر فيه الأرض ... وكنت أنا أولى الناس باهتمامك ورعايتك ... وكان أفضل عمل أديته هو الإحسان إلى ... ! وبعد حين أتانا ذلك الرجل يسعى راكضا .. فكان أدق وقت هو ذلك الذى توليته فيه بعنايتك وحدبك ... إذ لو أنك رغبت عن معونته لقضى دون أن تحظى منه بسلام وحمد ولذا كان هو أجدر الناس وأحقهم بالاهتمام والعطف وكان ما أديته له من معروف من أروع أعمالك وأجل فعالك . فاعلم إذن أن ليس ثَمَّ إلا وقت واحد يستحق منك الاهتمام ذلك هو «الآن» الذى تكون فيه ... فهو الآونة الوحيدة التى تتملك فيها قوتك وقدرتك ، وأحق الناس بأن تعنى به هو من يكون معك فأنت لا تدرى إذا كنت تعامل غيره بعد ذلك أو يكون هو آخر من تعامل ! وأجل الأشياء وأعظمها شأناً هو أن تبادر بالخير والمعروف إلى غيرك فلهذه الغاية السامية فطر الإنسان فى هذا الكون .

(القاهرة) مصطفى جميل مرسى .

جحا قال يا أطفال

ظهر حديثا :

وزة السلطان

بقلم المربى الكبير الأستاذ كامل كيلانى

ثمنها خمسة قروش بالألوان والشكل الكامل

يظهر قريبا :

سوق الشطار

ثمنها خمسة قروش

طلبات الجملة من مجلة الرسالة

سادهانا
أو
تحقيق الحياة

أروع ما كتبه شاعر الهند رابندرانات تاجور

يتناول بالبحث أعوص معضلات الحياة ، ويعرض حكمة الشرق فى أسلوب فذ وخيال رفيع . نقله إلى العربية :

الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

وقدم له الكاتب الكبير

الأستاذ عباس محمود العقاد

يطلب من مكتبة الانجلو المصرية بشارع قصر النيل رقم ٣٣

الثمن ١٧ قرشاً والبريد ٣ مليما تليفون ٥٠٣٣٧

سكك حديد الحكومة المصرية

خطا طنطا — المنصورة — دمياط — ودمياط — تفتيش كفر سعد — فارسكور البلد

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ١٥ مارس سنة ١٩٤٧ ستنفذ التعديلات الآتية :

١ — قطار الركاب رقم ٥١ (الذى يغادر طنطا فى الساعة ٥٠ ٨ إلى دمياط) سيبرح المنصورة فى الساعة ١٠ ١١ بدلا من الساعة ١٠ ١٢ إلى دمياط .

٢ — سيمتد مسير قطار الركاب رقم ٥٣ (الذى يغادر طنطا فى الساعة ٢٠ ١١ إلى المنصورة) بين المنصورة ومياط فيصل إلى دمياط فى الساعة ٥٠ ١٤ .

٣ — سيبدأ مسير قطار الركاب رقم ٥٦ من دمياط فى الساعة ٤٥ ١٥ إلى طنطا فيصلها فى الساعة ٣٥ ١٩ (موعده الحالى) .

٤ — سيسير دور علاوة بالعربة البخارية بين فارسكور البلد وتفتيش كفر سعد يغادر فارسكور البلد فى الساعة ٢٠ ١٢ إلى تفتيش كفر سعد ويعود منها فى الساعة ٤٥ ١٢ إلى فارسكور البلد .

٥ — ستعدل مواعيد دور العربة البخارية رقم ١٠ فيغادر فارسكور البلد فى الساعة ٤٥ ١٣ إلى تفتيش كفر سعد ويعود منها بالدور رقم ١١ فى الساعة ٣٨ ١٤ إلى فارسكور البلد .

٦ — سيلغى مسير دورى العربة البخارية رقم ١٢ و ١٣ بين تفتيش كفر سعد ودمياط وتعدل مواعيدهما بين فارسكور البلد وتفتيش كفر سعد ، فيغادر الدور رقم ١٢ فارسكور البلد فى الساعة ٥٠ ١٥ إلى تفتيش كفر سعد ويعود منها بالدور رقم ١٣ فى الساعة ١٥ ١٦ إلى فارسكور البلد .

وذلك وفقاً للمواعيد الموضحة بالإعلان المعروض بالمحطات